الدور الاجمالى والسياسى للأغنية الوطنية

قراءة سوسيولوجية

د . هدى عبدالمنعم زكريا

أولاً : مقدمة نظرية ومنهجية

١ – الأدب كموضوع سسيولوجي :

مثلت الأعمال الأدبية مجالا للدراسات التى يجريها نقاد الأدب الذين استهدفوا إصدار أحكام التقييم الجمالية ، الى أن اكتشف النقاد أنفسهم أنهم لا يمارسون دورهم النقدى الا فى اطار ثقافى واجتماعى ، يشكل وعيهم النقدى وتوجهاتهم الفكرية ، كما يشكل العمل الأدبي نفسه،وما يحيطه من ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية . ولما كان العمل الأد بي يأتي نتاج للتواشج بين الفكروااللغة، لذا فان دراسته تبحث تعبير الفكر عن نفسه في اللغة التي لايمكن فصل ظواهرها عن الظاهرة الاجتماعية.

ولقد قنع علماء الاجتماع–المعنيين أساسا بالظواهر الاجتماعية بالوصف البارد لهذه الظواهر حرصا منهم على الالتزام بالموضوعية،التى حددها لهم القاموس العلمي السائد والتقاليد الأكاديمية التى أدى حرصها على الدقة والموضوعية الى افتقار الكتابات السسيولوجية للقدرة على وصف الصراع الاجتماعى والسياسى ، بينما تمتع الانتاج الأدبى بتلك الحيوية والحرارة التى جذبت إليه النقاد الذين استطاعوا من خلال قراءاتهم النقد ية أن ينفذوا الى عوالم تاريخية سياسية واجتماعية غنية،افتقدها علماء

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الاجتماع. الي أن اتجه السسيولوجيون الي تأسيس فرع جديد هو علم اجتماع الأدب فصارت الأعمال الأدبية موضوعا للدراسة واعمال المنهج من زوايا عديدة منها نوع القضاياالتي يعالجها الكاتب/المبدع وما تعبر عنه من اهتمامات وتوجهات ايديولوجية.

ولقد حظى أدب محفوظ والغيطاني ويوسف ادريس وغيرهم بدراسات قيمة في مجال علم اجتماع الأدب من الباحثين.الذين لاحظوا ان المعالجات السسيولوجية تلقي علي تلك الأعمال ضوءا جديدا ومفيدا، وقد سبقهم الي ذلك ثقات النقاد في أمريكا وفرنسا ، مثل ريمون بيكار وجان بول فيبر، ثم لوسيان جولد مان الذي أكد من خلال منهجه-الذي تحير العلماء في تصنيفه من حيث درجة انتمائه الي علم اجتماع الأد ب أو الي علم اجتماع المعرفة- ان الوقائع الانسانية تكون دائما أبنية كلية ذات دلالة تتسم بأنها عملية ونظرية وانفعالية على السواء،ومن ثم يمكن تحليل العمل الأدبي من خلال الاهتمام بالمضامين الاجتماعية للروايات المختلفةمن حيث صلتها بالمجتمع الذى تعبر عنه وما يدور فيه من وقائع سياسية ثقافية . ولقد تركزت الجهود في التحليل السسيولوجى للرواية ،بينما ظلت مجالات الشعر؛ الفصيح منه والعامى علي السواء مركزا لاهتمام نقاد الأد ب ، وليس لباحثى علم الاجتماع ربما لما يتطلبه النص الشعري من قدرات عالية على التحليل لمواقع الجمال اللفظي ولعمق المعاني ودلالاتها اللغوية....الخ.

فلقد حظيت أشعار الأبنودى وبيرم التونسي وصلاح جاهين وفؤاد حداد ...الخ. بدراسات أدبية ممتعة تنتمي الي مدارس النقد الأدبي ،لكن دواوينهم افتقدت الي التحليل السسيولوجي الذي يمثل اضافة حقيقية لفهم العمل الأدبي.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

٢- دراسة الأغنية الوطنية سسيولوجيا

أحاول في دراستي الحالية أن اتجه الي اعادة قراءة تلك النصوص الشعرية التي طالما أمتعتنا وانفعلنا بمعانيها - منطلقة من أرضية سسيولوجية- وبخاصة تلك الأشعار التي تحولت الي أغنيات وأناشيد قام بتلحينها أشهر الملحنين وتغني بها أقوي الأصوات وأعذبها؛ كأم كلثوم، وعبد الوهاب وعبد الحليم وفايدة كامل وعبد المطلب....الخ . فعند الأغنية تتجمع الفنون والأداب مما يجعل الأغنية ديوان الانسانية الحقيقى بما تحمله من رسائل عاطفية موزونة يصاحبها معادل موسيقي مناسب، وقد اتجهت في دراستي الي قراءة الاغنية الوطنية بالذات ،لما لعبته من دور سياسى واجتماعي في نشر الوعي واستثارة الهمم نحو تبني قضايا الوطن والتنمية ،وما عبرت عنه من قوة الضمير الجمعي المصري في مرحلة تاريخية حاسمة من التاريخ المصري والعربي،ومن الطبيعي أن اتجه الي الفترة الواقعة بين ١٩٥٢-١٩٧٣ باعتبارها أقوى فترات ازدهار الأغنية الوطنية ،مع ضرورة الاشارة الي حال الأغنية الوطنية قبل الثورة وبعد حرب العبور١٩٧٣.

ومن الملاحظة المبدئية يمكن أن نكتشف الأغنية الوطنية تمثل سجلا تاريخيا واجتماعي، فضلا عن كونها وثائق لمرحلة لم تأخذ حظها من الدراسات السسيولوجية ، بقدر ما أثير حولها من ضجة سياسية بالغت في الاشادة بها كما أطلقت عليها اللعنات،وذلك بحسب مواقع واتجاهات الكتاب والمفكرين.

ان ما يزيد عن ١٢٥٠ أغنية وطنية تضافر علي ابداعها شعراء وملحنون ومطربون تمثل كنزا للمعنيين بسسيولوجيا الحياة اليومية السياسية وذلك لرصدها لتـفاصيل علاقة التـفاعل الاجتماعي السياسي بين القيادة السياسية والجماهـير المصرية والعربية والعالم الثالث في تلك الفترة المزدهـــرة.

ولقد نما اتجاهي الي القراءة السسيولوجية لتلك الأغنيات نتيجة لسؤال تردد

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

من جانب فئات اجتماعية متباينة الـــثـــقافة والسن والوضع الطبقي وهو:لماذا لم نعد نستمع لأغاني وطنية كتلك التي اعتدناها منذ أكثر من ثلاثين سنة؟ وقد دفعتني التساؤلات الي طرح سؤال أكثر شجنا ان جاز لباحث أن يشعر بالشجن،هل الوطن مرحلة تاريخية يمكن أن تمر وتنقضي وهل وطن اليوم يمكن أن يعيش أياما لاتنعشها ولاتدفئها مشاعر الانتماء التي تدفع المواطن/الشاعر/المطرب الي التغني بحب الوطن والذوبان في جماعيته؟ ولماذا صار صوت الوطن خافتا متواريا من ساحة الاهتمام ليسكن ذمة التاريخ ويقبع بركن الذاكرة الجمعية التي تنشط أحيانا وتضعف أحيانا أخري. ولقد اسعدني الحظ بأن عشت فترة ازدهارالأغنية الوطنية وصاحبتني في مراحل الحياة منذ الطفولة وحتي الشباب،وكنت أحد شهود عصرالتف فيه الناس حول الراديو والتلفاز،ليستمعوا ويشاركوا بشغف في ترديد الأغنيات التي عبرت بصدق وجمال عن نبض الناس من خلال معان عميقة وكلمات بسيطة،كانت تمثل أداة اتصال قوية بين القيادة السياسية والجماهيرمن جهة وبين المواطن والوطن من جهة أخري.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

٣- منهج الدراسة

١- الأغنية الوطنية والسياق

ولقد حرصت علي التعامل مع الاغنية الوطنية كبناء يحتوي مجموعة من العناصر التي تربطهاعلاقـات واعراف ثـقافـية ، تسهم في تنـوير معناها بوصفه تأسيسا اجتماعيا يرتبط بشبكة من التداعيات والمقاصد الايديولوجية ومن المتوقع أن يساعد تحليل مضمون الأغنية الوطنية علي فهم التوجهات السياسية والمعتقدات والقيم التي سادت فترة هامة من تاريخ المجتمع المصري ومن ثم فإن تحليل الأغنية الوطنية فى ضوء السياق الذى ظهرت منه هو المنحنى المنهجى الرئيسى لهذه الدراسة ، ومع ذلك فإننى أتصور أن معالجة الأغنية الوطنية لايجب أن تقتصرعلي رؤيتها كنص أدبي أو قصيد شعري، دون مراعاة للأهمية القصوي لدور اللحن والتوزيع الموسيقي ، اللذان ينبغي ان يؤخذا في الاعتبارالبحثي للدور البالغ الأهمية الذى لعباه في دفع الحيوية والحميمية في جنبات القصيد الغنائي،مما أدي الي تحقيق مهمة استثارة الوعي الجمعي السياسي لجموع المصريين والعرب وشعوب العالم الثالث. وذلك مع الحرص علي الاهتمام بدور المطرب سواء أكان فردا أو جماعة، لما لدوره من الأثر البالغ في احياء المعني وتحويله الي قوة دافعة محركة من خلال التعبير الصوتي الذي تميز بالقوة والعذوبة والقدرة الهائلة علي التعبيرفي فترة تميزت بكثافة هذه الأصوات بصورة غير مسبوقة. لكنه من المهم أن أشيرالي أنني أسعي لتناول أدوار الالحان والتوزيع الموسيقي والمطربين، من حيث الدلالة الاجتماعية بالأساس وليس من الناحية الفنية، فذلك شأن المتخصصين في هذه المجالات .

٢- أسلوب التحليل :

خضعت الأغانى التى جمعت من فترات تاريخية مختلفة (غطت خمس فترات

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بدءاً من حقبة ما قبل الثورة ، وانتهاءً بأغنيات العبور ، مروراً بالمراحل المختلفة لحقبة الثورة) خضعت هذه الأغانى لنوع من تحليل المضمون الكيفى، الذى يحاول أن يكتشف المعانى والدلالات الكامنة فى الأغنية ، وأن يبحث عن الخيوط التىتربط بين الأغنية وبين السياق الذى أنتجها .

٤- مفهوم الأغنية الوطنية

ولقد بدأت بتحديد مفهوم للأغنية الوطنية يلم بأبعادها الاجتماعية والفنية والأدبية بقدرالامكان،بصفتها قصيد غنائي بالعربية الفصحي أو بالعامية يغنيها مطرب فرد أو مجموعة أوكليهما معا،وذلك بعد تلحينها بواسطة موسيقار،يضع المعادل الموسيقي المناسب لكلماتها ،ويستعين في العادة بموزع متخصص ،تكون مهمته توزيع اللحن علي الآلات الموسيقية المناسبة لكل مقام ولكل نغمة،فمن خلال استخدام الوتريات والآلات النحاسية والطبول، بأنواعها المختلفة يتحول اللحن الي لغة موسيقية حية، تبعث في الكلمات روحا جديدة تضيف الي قوة المعني قوة الجرس الموسيقي وتعد الأغنية الوطنية كتلة عاطفية من المشاعر النبيلة، التي يبثها الشاعر المطرب/المواطن للوطن بكل أبعاده؛ ابتداء من دائرة الأقارب والأصدقاء وانتهاء بالمجتمع الكبير،وبحاضرهذا الوطن وماضيه وامانيه للمستقبل وبرقعته الجغرافية بما تتضمنه من سهول وجبال وانهار وسماء وبحار، هذا فضلا عن ثقافة وقيم ولغة وودين. وتتجسد في الأغنية الوطنية حالة من الذوبان الفردي او الجماعي في المجتمع ، باكتمال وعي الفرد بأن أمانه واستقراره واكتمال انسانيته تمثل غاية لاتتحقق الا في ظل جماعة انسانية آمنة ومستقرة ،تتمتع بالدوام الجماعي ، الذي يطمئن الفرد ويزيل مخاوفه الطبيعية من نهايته المحتومة،فبقدر استقلال الوطن وتمتعه بالحرية والسيادة الكاملة ،علي أرضه وثرواته الطبيعية بقدر شعورالمواطن بالاستقرار

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

والأمان.

وتختلف الأغنية الوطنية باختلاف الدائرة التى ترتكز عليها:

أ- وقد تركز الأغنية الوطنية على الدوائر الانسانية الضيقة المحيطة بالفرد مثل:

وطني وصباى واحلامي وطني وهواي وأيامي

ورضا أمي وحنان أبي وخطا ولدي عند اللعب

يشدو برجاء بسام

ب- وقد تتجه الأغنية الي دوائرأوسع حتي أبعد الدوائر الانسانية مثل:

" يارب بلدى وحبايبي والمجتمع والناس.".....

ده أصلنا الانسانية والأب واحد ياعالم"

وكلنا دم واحد ..الفين سلام لك يـــــآدم

ج- ويبرزدورالأغنية الوطنية وينتعش عادة في فترات الصعود لاجتماعي والنهضة،ويصبح:

"مفيش محال والعزم معانا والعلم بيـنورنـــــيانا "

" والفكر بيجسم أحلامنا قدامنا شايفـيـنها وشايفـــاك"

د- أما في وقت الأزمات الاجتماعية والسياسية فـتتحول الأغنية الوطنية الي صيحة تستصرخ يقظة الوطن والمواطن ، للاحتشاد(الكل في واحد) من أجل النهوض والخروج من الأزمة ؛مثال ذلك عندما هتف سيد درويش:

"قوم يا مصري..مصر دايما بتناديك ..خد بنصري نصري واجب عليك"

وهنا تصبح الأغنية احدي آليات الانقـــاذ وتكون حافلة بالشجن والهتاف أما في فترة الصعود فتصبح نشيدا واحتفالا وفرحا متفائلا، وتعبيرا عن الحلم الجمعي.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ثانياً : الأغنية الوطنية فى السياق البنائى فى المجتمع المصرى :

ولأن الأغنية الوطنية ترتبط بالحدث السياسي وتعبرعنه، لذا كان من المنطقي قد تختلف خصائص الأغنية باختلاف المرحلة السياسية التي عاصرتها وأن تتطبع بطابع المرحلة،لذا رأيت أن أقسم الأغنيات الوطنية الي خمس مراحل تاريخية:

١- ما قبل ثورة يوليو(منذ ثورة ١٩١٩-١٩٥٢)

٢- عقب ثورة يوليووحتى صدور القوانين الاشتراكية١٩٦١.

٣- منذ ١٩٦١حتي هزيمة ١٩٦٧

٤- بكائيات النكسة وفرح العبور من١٩٦٧ وحتي١٩٧٣.

١- الأغنية الوطنية منذ ١٩١٩وحتي ١٩٥٢.

باستعراض الواقع الاجتماعي السياسى نلاحظ أن المجتمع المصري كان يعيش أزمة بـــنائية ،نجمت عن الاحتلال البريطاني وما سببه من انـــهيار اقتصادي، سببته عمليات النهب المنظم للثروة الاقتصادية المصرية،وما خضعت له مصر من السيطرة السياسية/الاقتصادية للانجليز، مما أدى الي تداعيات اجتماعية خطيرة، نتيجة افقار نسبة كبيرة من سكان مصر؛ من الريف والحضر،وماترتب عليه من الحراك الاجتماعي الهابط لشريحة كبيرة من الطبقة المتوسطة والبورجوازية الصغيرة. وقد مثلت الحركة الوطنية الساعية للاستقلال والخروج بالوطن من قبضة المحتل-حالة الرفض والمقاومة التي أشهرها المصريون في وجه أعدائهم منذ اجهاض ثورة عرابي١٨٨٢. وقد مثلت الأغنية الوطنية اهم آليات المقاومة،فكانت الصرخة المدوية في وجه المحتل وقد اخذت هذه الصرخة صورا عديدة عكست صعود الحركة الوطنية واشتعالها وكذلك سكونها وتداعيها وما انتابها من قوة

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ونتيجة لما تعرضت له من ضربات وانتكاسات وما تمتعت به من دعم شعبي جارف فقد اتسمت بالملامح التالية:

أ- استلهام العبارات الدارية لزعماء الحركة الوطنية، وذلك في فترات تأجج الحركة الوطنية، فكانت الخطبة السياسية للزعيم سعد زغلول ومن قبله مصطفي كامل كفيلة باشعال الحماس الشعبي للجماهير التي كانت تردد كلمات الزعماء وتحفظها كآلية نضال، سرعان ما تتحول الي نشيد فالهتاف الشهير للزعيم مصطفي كامل:بلادي... بلادي لك حبي وفؤادي لك روحي ووجودي فأنت ..أنت الحياة ولاحياة الا بك يامصر.

يتحول هذا الهتاف الي أشهر الأناشيد التي لا زالت لها قيمتها حتي الآن ويعزف لحنه بصفته السلام الجمهورى حاليا.

ب- ولأن الأغنية الوطنية كانت تتعرض للقمع والاسكات والحصار من جانب السلطات،التي عانت من قدرة النشيد الوطني علي استثارة ثورة الشعب،فكان علي مبدعيها التحايل للافلات من حصارالسلطة، وذلك باستخدام رموز من التراث الشعبي التي يجهلها المحتل،ومنها نداءات الباعة الجائلين الذين اعتادوا الغناء لترويج بضاعتهم بذكر محاسنها فقام سيد درويش بتلحين أغنيته الشهيرة :

يا بلح زغلول ...ياحلوة يابلح ....يابلح زغلول

وذلك حتي يتمكن من مدح الزعيم وابلاغه رسائل الحب الشعبية برغم كل الموانع .

ج- كما حفلت الروايات والمسرحيات بالأغاني التي تبدو مكملة للسياق الدرامي،لكنها كانت تتجه وبصورة واضحة نحوايقاظ روح الفعل الايجابي لدي الجماهير بتذكيرها بالماضي المجيد،ومطالبتها بالنهضة من جديد:

" شوف جدودك في قبورهم ليل نهار من جمودك كل عظمة بتستجا ر"

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

"فين آثارك ياللي دنست الأثار...دول فاتولك مجد وانت فت عار"

د- والواقع ان التغني بالوطن في تلك الفترة،لم يكن محاصرا بقمع السلطة، وانما بكونه تعبير عن رؤية الطبقة السائدة،وما تتذوقه من أشعار الفصحي،التي كانت تستعصي علي البسطاء،وتروج بين من أطلقوا علي أنفسهم "أصحاب المصلحة الحقيقية"في الوطن وفي النضال لذا يعمد سيد درويش الي استخدام العامية في أغنياته،كما نلاحظ تحيزه الواضح للتعبير عن هموم البسطاء وآلامهم،فنراه يصرخ شاكيا من سخرة الجندية التي كانت تسوق الفقراء الي الحرب وتستثني أبناء الأغنياء منها:

" ياعزيز عيني وانا بدي أروح بلدي".

".بلدي يابلدي والسلطة خدت ولدي"

كما يشدو باسم عمال التراحيل،الذين يعانون من البطالة،رغم تنقلهم من بلدة الي اخري من أجل لقمة الخبز فيقول:

" ياولد عمي يابوي ..لفينا لما استكفينا من جرجا، لطنطا ،لميتراس"

"والله بركة اللي استغفينا..... وخلصنا من وجع الراس"

وفي التعبير عن آلام الصنايعية الذين ضاقت بهم السبل يغني:

" صبح الصباح فتاح ياعليم..والجيب ما فيهش ولامليم"

"مين في الزمان ده شاف تلطيم زي الصناعية المظاليم"

وفي المقارنة بين المرأة الريفيةالفقيرةوالبورجوازية ابنة الحضر المدللة والمغتربة عن تراثها الثقافي،ينتصر درويش للريفية:

"ياحلاوة أم اسماعيل في وسط عيالها..زي النجفة عم بتلعلط في جمالها

تزرع وتجلع في الغيط ويا راجلها..وتعاود تاني لعجينها وغسيلها"

ويسخرمن بنت البندرقائلا:

بنات البندردول ايه؟بتوع الأند دو تروا"

يـكسفانا اللي شـفناه مين فات قديمه تـاه"

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وهكذا تصبح الأغنية الوطنية من الثراء بحيث تـفصح عن مواقف طبقية واضحة وتـثأر للبسطاء من ظالميهم أثناء الغناء للوطن.

هـ- ومع تفاقم الأزمة البنائية وسقوط القيادات البورجوازية،في براثن الجمود والترهل، سادت الأغنية الوطنية رؤية رومانسية ضيقة عاجزة عن التعبير الحقيقي عن الواقع الاجتماعي؛فغني عبد الوهاب:

محلاها عيشة الفلاح ....مطمن قلبه مرتاح

يتمرغ علي أرض براح..والخيمة الزرقاء ساتراه

و- وعندما قام الشعراء علي محمود طه ومحمود حسن اسماعيل بتأليف أغنيات وطنية تحث علي الجهاد،ولحنها الموسيقارمحمد عبد الوهاب أوقفت اذاعتها بأمرالسلطات لأنها تعرضت لحرب فلسطين وكانت تحث علي الجهاد:

أخي جاوز الظالمون المدي ...فحق الجهاد وحق الفدا

أنتركهم يغصبون العروبة...مجد الأبوة والسؤددا

وليسوا بغير صليل السيوف.يجيبون صوتا لنا أوصدي

كما منعت أنشودة شهيرة لم تتح لها الفرصة الا بعد الثورة لكونها محرضة علي التمرد والثورة وتقول :

كنت في صمتك مرغم .. كنت في حبك مكره

فتكلم.. وتأ لم.. وتعلم...كيف تكره !

أنا يامصر فتاكي بدمي أحمي حماكي ودمي ملء ثراكي !

ومن الجدير بالذكر أن لحن هذه الأغنية قد أصبح هو المقدمة الموسيقية لنشرة الأخبار حتي وقتنا هذا .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

٢- الأغنية الوطنية بعد الثورة

اذا أردنا أن نلمس حجم ما أحدثــته ثورة يوليو من تحول جوهري في الأغنية الوطنية،فيكفينا ان نستمع الي احد أعمدة الأغنية الوطنية وهو الموسيقار محمد عبد الوهاب في أغنية "حب الوطن فرض عليا" التي غناها قبل الثورة ونقارنها بأى أغنية له بعد الثورة مباشرةولتكن نشيد القسم،وسنلاحظ في الأولي أن الايقاع ناعم كسول،في لحن يقطر شجنا، ويستعرض علاقة رومانسية حالمة فيقول:

ليه بس ناح البلبل ليه ..فكرني بالوطن الغالي

قضيت أعز شبابي فيه..وفيه حبايبي وعذالي

ويستمر الشاعر/المطرب في التعبير عن مشاعر حب مطلق غير فاعل وغيرايجابي وليس له معالم أو حدود . فاذا استمعنا ألي نشيد القسم لاحظنا أن الشاعر/المطرب يستهل خطابه للوطن بالقسم وهواعلي سمات الجدية والالتزام فيقول:

"اقسمت باسمك يابلادي فاشهدي .اقسمت أن أحمي حماك وافتدي

سأفي بعهدك بالفؤاد وباليد....وبنور حبك أستضيء واهتدي"

وتستمر الأنشودة في اعلان حالة التعبئة الفاعلة،من أجل ارساء قواعد المستقبل،مع ما يكلفه ذلك من خوض أخطار الحمام والفداء بالدم.. ولكي تصبح الصورة أكثر وضوحا،علينا ارساء هذه التحولات علي أرضيتها الاجتماعية السياسية، حتي نتبين الدورالذي قامت به الاغنية الوطنية عقب استيلاء الجيش علي السلطة في يوليو١٩٥٢.

أ- <u>تجييش الشعب وحشده حول حركة يوليو</u>

كانت الجماهير المصرية بفئاتهاالاجتماعية المتعددة ناضجة للثورة علي الأوضاع السياسيةوالاقتصاديةوالاجتماعيةالتي عانتها مصر قبل يوليو، ولكن

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الفصيل العسكري كان يؤكد موقفه الايديولوجي باسلوب التحالف الشعبي الذي كان يتطور تدريجيا من تجمع فقراء الفلاحين وأشباه الأقنان،وصعاليك المدن الي تجمع أكثر رحابة بحيث اتسع مع التبلور الطبقي،ليضم عمال الزراعة وفقراء الفلاحين والشرائح الصغري من البرجوازية ثم الطبقة العاملة الصناعية.

ويقول اسماعيل صبري عبد الله "أن كل من يري في يوليو مجرد انقلاب عسكري- مثل تلك الانقلابات التي تقع كل يوم في العالم الثالث- يخطيء خطأ بعيدا،فلم يكن هناك تناقض بين عسكري مصر ومدنييها،ولم يكن من قبيل المصادفة أن ينشأ تنظيم الضباط الأحرارمن الشبان الوطنيين الذين ظنوا أن السبيل قد أصبح مفتوحا لبناء جيش وطني حديث غداة معاهدة ١٩٣٦.، كما أن تنظيم الضباط الأحراركان سياسيا بكل معني الكلمة ذو طابع جمهور، يعكس في قيادته كل التيارات المناضلة من أجل الثورة من أقصي اليسار الي الاخوان المسلمين. من ثم يصبح منطقيا أن تسعي حركة يوليو منذ الوهلة الأولي الي استنفار روح الحشد والتأييد الجماهيري ليصير(الكل في واحد)وتبدأ عناصر الضمير الجمعي المصري في التشكل في اتجاه وحدة وطنية،تدفع بالبنية الاجتماعية نحو حالة من التماسك البنائي بعد أن عاني المجتمع من التشرذم والتفكك قبل الثورة.

من هنا لم يكن غريبا أن تترجم الأغنية الوطنية الخطاب السياسي للمرحلة الجديدة،وأن تتشابه معه في سمات كثيرة،وأن تتطور بتطوره؛ فلقد اتسم خطاب القيادة بطابع البيانات العسكرية المقتضبة القصيرة،ذات اللهجة الحادة والصارمة،لذا نلاحظ أن الأغنية الوطنية التي مثلت الجناح المقابل للخطاب السياسي، قد اتسمت بنفس الطابع الصارم والجدية البالغة التي كان النشيد الوطني هو النموذج الأمثل للتعبير عنها،لذا غلبت الفصحي في أشعار تلك

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الفترة،التي أخذت طابعا" تلغرافيا"مباشرا مع الجرس الموسيقي القوي فكان المعادل الموسيقي لها هو ألحان عسكرية منتظمة تتوزع علي الآلات النحاسية وتستلهم الخطوة العسكرية للجنود.

ومن الأمثلة الشهيرة علي ذلك أغنية ليلي مراد(علي الاله القوي الاعتماد) وهو نفس الشعار الذي رفعه الرئيس محمد نجيب للثورة.

" علي الاله القوى الاعتماد . .بالنظام والعمل والاتحاد"

" فانهضي يا مصر ياخير البلادوانعمى بالمجد وامضى للرشاد"

بالاتحاد والنظام والعمل"

وفي نفس الاتجاه غني عبد الحليم حافظ أغنية(ثورتنا المصرية) ليعلن من خلالها المبادئ الستة للثورة، فيقول:

"ثورتنا المصرية أهدافها الحرية وعدالة اجتماعية ونزاهة ووطنية"

كما أفسحت القيادة السياسية المجال للأناشيد والأغاني التي منعت قبل الثورة، فغني عبد الوهاب (نشيد الجهاد).

وتوالت الأناشيد الحماسية مثل (اسلمي يامصر) ونشيد مصر أمنا لتصل حالة التعبئة الي أقصاها بعد أن حددت القيادة السياسية المهمة الأساسية للمرحلة بدمج الجيش والشعب بالتوحد معا من أجل سلامة الوطن وهي مهمة لا تسمح بأي صدام أواختلاف في وجهات النظر، لذا نلاحظ أن الأناشيد الوطنية قد حفلت بقيم المجد والتضحية،والكرامة والاستشهاد ،كما تكثر أفعال الأمرمثل:اسلمي واشهدى وانهضي وانعمي .وكلها أوامرالحب والاخلاص، وليست أوامر القهر والاستعباد.

استدعاء القوي الاجتماعية المهمشة واذا كان الخطاب السياسي قد ألمح كثيرا الي رد الاعتباراالي الطبقات الدنيا والنساء فمن الواضح أن الأغنية الوطنية قد ترجمت هذا الموقف الي أغنيات منها أغنية(بدلتي الزرقاء) لعبد الحليم

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

حافظ وهي تتغني بالرموز العمالية أصحاب الياقة الزرقاء،فتقول:

"بدلتي الزرقا لايقة فوق جسمي .في جمال لونها مركزي واسمي"

لونها قربني من السما الصافية...ولما بالبسها بالبس العافية"

كما غنت شادية للمرأة باسم القيادة السياسية التي أفسحت المجال لنصف المجتمع كي يتحرك بايجابية وفاعلية ويتخذ مكانه في حركة التنمية فتقول:

" يابنت بلدي زعيمنا قال قومي وجاهدي ويا الرجال"

ب- <u>خطاب المبايعة الشعبية في الأغنية الوطنية</u>

ولم تكتفي الأغنية الوطنية بالتعبير عن مطلب القيادة السياسية وفلسفتها،وانما اهتمت بالتعبيرعن مبايعة الشعب وتأييده لحركة الجيش،مما يعطى انطباعا بمشروعية السلطة وما تتخذه من مواقف وقرارات،وهنا نلاحظ ان الأغنية كانت تعلن حالة من البهجة العامة بمجئ الحاكم المصرى بعد المعاناة الطويلة من طغيان الحاكم الأجنبى فيغنى ابراهيم حمودة:

يامصري احكم وسود بصبرك وبجهادك

.ده كان حلم الجنود في يوم تحكم بلادك

ثم يغني:

بخطري وبرضايا أنا اخترت ابن بلدى

علشان يحكم معايا أرضي وأرض بلدى

وعندما تمخضت الأحداث عن سيطرة عبد الناصر علي دفة الحكم بعد اقصاء محمد نجيب،تتجه الأغنية الي مزيد من التحديد فتغنى أم كلثوم :

بعد الصبر ما طال حققنا الآمال برياستك ياجمال

ثم يغني محمد قنديل من وحى الشعار الذى رفعه عبد الناصر:

ارفع رأسك ياأخي فقد مضي عهد الاستعباد أغنية (علي الدوار)فيقول:

ارفع راسك واوعي تطاطى ولاتهتم لغير العاطي"

واللي ظلمنا بقي في النار ..علي الدوار علي الدوار"

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وبتوقيع اتفاقية الجلاء وتحقيق أعظم أماني الشعب المصري عام ١٩٥٤، تأكدت الجماهير من الدور الفاعل للقيادة السياسية نحو تحقيق الاستقلال، فعبرت الأغنية الوطنية عن الفرح العارم بالجلاء،كما حرصت علي تجديد المبايعة للرئيس ناصرباسم الشعب،وصارت تناديه" بالريس" كما حرصت الأغنية علي استدعاء الذاكرة الجمعية للشعب المصري لكي تمسح جراح الماضي التي خلفتهاأحداث هزيمة الثورة العرابية وما تبعها من احتلال الانجليز ١٨٨٢،وهو موقف له دلالته السياسية،فالثورة العرابية أشعلها الجيش المصري وباجهاضها خرج الجيش المصري من المسرح السياسي،وبالجيش المصري تحقق الاستقلال وعلي يد ضابط هو ناصر، فيغني عبد المطلب:

قولوا لعرابي أخدنا بتارك من اللي خانوك"

خرج الغاصب اللي شرانامن اللي باعوك"

كما يؤكد عبد الحليم حافظ المبايعة الشعبيةالتي تدعمت بالبطولات التي حققها ناصر:

احنا الشعب ..احنا الشعب ..اخترناك من قلب الشعب

يافاتح باب الحرية يا ريس يا كبير القلب

ياللي بتسهر لاجل ما تظهر شمس هنانا

احنا جنودك سبنا في ايدك مصر أمانة

وغني عبد الوهاب :

يا نسمة الحرية ياللي مليتي حياتنا.. يافرحة رايحة جاية الحب فوق جنتنا كما انطلقت المجموعة تشدو:

يامصر تم الهنا بهمة الأحرار..وبعد سبعين سنة الليل طلعله نهار

أما قرار تأميم قناة السويس١٩٥٦فقد أثار حالة من الفرح العارم، التي عبرت عنها الأغنية الوطنية في روح الفخر والكبرياءالتي غني بها عبد المطلب،حيث يخاطب الشاعر/المطرب السفن المارة بالقناة بعد استرداد

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مصر لها:

ياسايق الفلبون عدي القنال عدي وقبل ما تعدي خد مننا وادى

ده اللي حفر بحر القنال جدى ....عدى ....عدى ياسايق الفلبون

وتشدو أم كلثوم /صلاح جاهين مهنئة المصري/المرشد الذى يقود السفن خلال عبورها القناة ،في مهرجان الفرح الشعبي:

محلاك يامصري وانت علي الدفة.والنصرةعاملة في البلد زفة

ياولاد بلد نا تعالوا علي الضفة..شاوروالهم غنوا لهم وقولوالهم

ريسنا قال مفيش محال راح الدخيل راح واين البلد كفي

ولايفوتنا هنا أن نلاحظ كيف استخدم الملحن ايقاعات الفرح الشعبية، والطبول التي تزف العرائس في ليالي الزفاف،فاستطاع الملحن المنفعـــل بالكلمات البسيطة والعميقة أن يصورحالة الفرح الجماعيةالمصحوبة بالنداءات:تعالوا وشاوروا وغنوا، وقولولهم" كما نلاحظ في هذه الأغنيات أن الشاعر يؤكد كيف صارت الجماهير فاعلا سياسيا"اذا فهي تستخدم ضمير المتكلمين عندما تذكر القرارات السياسية فتستخدم الفعل" أخدنابثأرك"وخد مننا"مما يؤكد مشاعر التوحد مع القيادة السياسية والتأييد الكامل لما تتخذه من قرارات.

ج- الأغنية الوطنية آلية دفاع عن الوطن

اختبرالعدوان الثلاثي الصلابة الحقيقية للشعب المصري عام١٩٥٦فمن المنطقي أن مصر لم تكن تملك القدرة علي المقاومة في مواجهة جيوش ثلاث دول كانت قد تحركت لتدمير النظام المصري واستعادة القناة،ولقد أثبتت الأغنية الوطنية في تلك اللحظة أنها أقوي سلاح واجهت به مصر الغزو الثلاثي، وفي تعليق لناصرعن دورالأغنية الوطنية في النضال يؤكد أن صوت فايدة كامل وحده كان يمثل فيلقا عسكريا كاسحا.

ومع أن النشيد الوطني كان سمة المرحلة منذ قيام الثورة الا ان أناشيد المقاومة كانت تحمل طابعا خاصا،فالكلمات حادة حاسمة تشبه طلقات

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الرصاص،والمعاني واضحة، يصحبها ألحان عسكرية تعبيرية،تم توزيعها علي آلات نحاسية وطبول، ورددتها مجاميع جسدت حركة المقاومة القوية فنشيد الله أكبرتردده الروح الوطنية قبل الأفواه قائلة:

الله أكبرفوق كيد المعتدى ...والله للمظلوم خير مؤيد

أنا باليقين وبالسلاح سأفتدى بلدى ونور الحق يسطع في يدي

قولوا معي قولوا معي الله أكبر

ياهذه الدنيا أطلي واسمعي..جيش الأعادى جاء يبغي مصرعي

بالحق سوف أهده ويدفعي واذا فنيت فسوف أفنيه معي

والشاعر/المصري/الجيش في معركة الشرف يحتمي بالذات الالهية وقوة اليقين والايمان بأن المظلوم غالب في النهاية، بما يملكه من روح فدائية لاتخشى الموت ولاتهاب الشهادة ولاسبيل لتصور الهزيمة،فالبطل هنا تراجيدى يعيش الملحمة دون مساندة الامن الله. أما نشيد "هذه أرضى أنا"فتغنيه فايدة كامل مع المجاميع وهي صاحبة صوت من طبقة" التينور" القوية العالية الذي جسد معاني كلمات الشاعر عبد الله شمس الدين:

دع سمائي محرقة دع قتالي فمياهي مغرقة

واحذر الأرض فأرضي صاعقة

هذه أرضي أنا وأبي ضحي هنا..وأبي قال لنا مزقوا أعداءنا

والشاعر/الجندي /الوطن يبلغ عدوه باستخدام أفعال أمر لاتهادن ولا تقبل المناقشة، فيصرخ :دع واحذرويصب الرعب في أوصال العدو، بافزاعه من أرض الوطن ومياهه وسمائه،لأنها لم تعد جماد لايحس وانما قد دبت فيها روح وطنية تجعلها تنتمي لأصحابها الذين دفعوا دماء الأجداد ثمنا لامتلاكها،لذا فانها جميعا سترفض أن يدنسها العدو، وتظهركلها قدرات الفعل الخارقة،محرقة ،مغرقة،صاعــقة وكلها في اللغة أسماء فاعل في اللغة وفي الواقع : وتصرخ المجموعة في نشيد (النيل):

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أنا النيل مقبرة للغزاة أنا الشعب ناري تبيد الطغاة"

أنا الموت في كل شبر اذا عدوك يا مصر لاحت خطاه"

يد الله في يد مصر القسم علي كل عاد تصب العدم"

هنا يصبح الشعب /النيل/النار/المقابر/الموت مترادفات لكيان واحد في مواجهة حاسمة ضد الطغاة/البغاة/الغزاةالذين تصب عليهم يد الله الممسكة بيد مصرالعدم. ويحرص الشاعر/المطرب علي استفزاز مشاعر الجندي/المواطن ويذكي نيران غضبه ؛ باستدعاء تاريخ الصراع المستمر بينه وبين العدو،فيحرضه بلغة التراث الثقافي العربي للقيام بما ينتظره من مهام مهما كان الثمن،فيغني عبد الوهاب (نشيد الحرية) كنت في صمتك مرغم كنت في حبك مكره فتكلم وتألم وتعلم كيف تكره

أنا يامصر فتاك بدمى أحمى حماك ودمي ملء ثراك"

أنت ان لم تتحرر بيدي يابلدى فسأمضى أتحرر من قيود الجسد"

وهكذا يتحرك الشاعر/المغني حركة متوازنة بين الذكري المحفزة للفعل/النضال ومابين الفعل الذى يصبح فيه متجردا من ماديته ليصير:

"أنا ومضى وبريق،أناصخر أنا جمر.لفح أنفاسي حريق ودمي ناروثأر"

"بلدي لاعشت ان لم أفتدي يومك الحر بيومي وغدي".

ومن يستمع الي أنشودة والله زمان ياسلاحي لأم كلثوم والمجموعة يشعر بقدرة الشاعر/الملحن/المطرب علي تجسيد قدرات الشعب الخارقة فهو النار/النور/الجبال/البحور/البركان الثائر الذي لاراد لارادته. والجنود الزاحفة للنصرهنا يحدث زحـــــفها دويا / رعـــودا وقد أقسمت الاتعود الابالنصر أو الشهادة.وتحفز المطربة/مصر جنودها بلغة الأمرالواجب التنفيذ:

"هموا وضموا الصفوف ... شيلوا الحياة علي الكفوف"

ومن المؤكد أن ميدان الكلمة/اللحن/المغني في مجال المقاومة

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

قد مثل ميدانا موازيا لميدان الحرب،وقد تميزت أناشيد تلك الفترة بعدة سمات أهمها:

- وضوح الهدف:تحرير الوطن/فناء العدو.
- سبيل واحد لتحقيق الهد ف:النضال/التضحية/الفداء/الاصرار.
- تبرز الأنا الجمعية لتؤكد توحد الشعب والجيش والنبات والجماد
- يحتل السلاح مكان الصدارة في أنشودة الحرب،ولكنه ليس سلاحا ماديا فحسب وانما هو الايمان واليقين والثقة في دعم ومساندة الخالق.

ثالثا :الأغنية الوطنية مابين ١٩٥٦ وقوانين يوليو ١٩٦١

تميزت هذه الفترة بكونها المرحلة التي أعقبت الانتصار السياسي الذي حققته مصر في حرب ٥٦،الأمر الذي قدم مصر كنموذج يحتذي بين دول العالم الساعية لتحقيق الاستقلال في كل من آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية،كما كان دور مصر الفاعل في دعم كتلة دول الحياد الايجابي والتعايش السلمي سببا في اعتبارها رائدة سياسات عدم الانحياز، وقد توجت هذه المرحلة باعلان الوحدة بين مصر وسوريا١٩٥٨ مع بعث الأمل في بعث القومية العربية كقيمة سياسية توجت عبد الناصر كزعيم بارزليس للمنطقة العربية بل للعالم الثالث كله بين أسماء كان لها وزنها مثل نهرو في الهند وجوزيف بروز تيتو في يوجوسلافيا....الخ .

وبالتالي حملت الأغنية الوطنية بكم ضخم من المهام السياسية منها:

أ- <u>تسجيل نصر٥٦ والفخر ببطولات بورسعيد١ فغنت شادية :</u>

أمانة عليك أمانة يامسافر بورسعيد ..لتبوس لي كل ايد حاربت في بورسعيد
حتلاقي الأرض خضرا وان لاح فيها الغريب حتبقي الأرض جمرا بالدم وباللهيب .."
"تراب أرض الجدود وفيه دم الشهيد أمانة عليك أمانة لتبوس لي كل ايد"

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

حاربت في بورسعيد.."

وهنا يبدو الشعور بالامتنان الوطني جارفا لأبناء بورسعيد الذين سطروا من دمائهم صفحات البطولة كما غني عبد الحليم حافظ أغنية :

يا سفاين فوتي فوتي في كنالنا الحرة الرايقة"

ولو ان الدم الأحمرعلي خد الموجة الزرقا"

والليل ..والنار والغارة وعيال الناس في الحارة"

وبنية بتبقي يتيمة وعمارة بتبقي حجارة"

واتفضل شوف يا أخينا في مكان القنابل بتميل السنابل"

اتفضل شوف يا أخينا في مكان الزوابع بتقوم المصانع"

وفي هذه الأغنية الحافلة بمشاعر الشجن والمسئولية في نفس الوقت يلخص الشعب المصري/الشاعركيف عانت مصرمن العدوان الظالم الذى –بالرغم مما ألحقه بها من دماركوارث انسانية–لم يمنع مصر من أداء دورها الدولي والانساني ،فهي تفتح القنال لسفن العالم ،لكنها تشهد البشرية علي أن أنها لازالت تحافظ علي دورها البناء في التنمية في أشد الظروف قسوة وأن همجية من يقصفونها بالقنابل ويدمرون مدنها،لم توقفها عن انشاء المصانع وزراعة القمح. ويلاحظ أن حرص الأغنية الوطنية علي تأكيد موقف مصر المسالم والرافض للحرب،التي لاتخوضها مصرالا مضطرة وللدفاع عن الحق فيغني عبد الحليم :

اني ملكت في يدى زمامي وانتصرالنور علي الظلام

وهتفت حمامة السلام اني ملكت في يدى زمامي

حريتي انا الذى أحميها أحبها أحب من يفديها

أنا الردي للطامعين فيها أنا الذى للحب والسلام"

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ب- الدور الدولي لمصر في الأغنية الوطنية:

في أغنية فايدة كامل :

أنا عملاق قواه كل ثائر في فلسطين وفي أرض الجزائر"

والملايو وشعوب كالبشائر..أنا عملاق قواه كل ثائر"

يشبه الشاعر روح المقاومة لدي كل الشعوب المناضلة من أجل تحقيق الاستقلال،بالعملاق المتنامي القوة تغذيه ثورات الشعوب المناضلة.

وفي أغنية محمد عبد المطلب،تعلن القيادة المصرية موقفها الصريح من الصراعات الدولية،وهو الحياد القوي:

"من باندونج صارخنا الدنيا بصوت جبار"

"مش للشرق ومش للغرب..... لكن أحرار"

وغنت وردة الجزائرية باسم الجزائروطنها المحتل من فرنسا تطلب مساندة مصرللثوار الذين دعمتهم مصربالسلاح والمال

أنا من الجزائر أنا عربية....أهل الشعب ثائر وبيطلب حصة

من الجمهورية المتحدة العربية

وتوالت أغنيات وطنية تعكس التوجه العربي الواضح للسياسة المصرية مثل (بغداد قلعة العروبة) وانطلق صوت محمد سلمان المطرب اللبناني من اذاعة صوت العرب التي كانت موجهة لاحياء روح القومية العربية:

"لبيك يا علم العروبة كلنا نفدي الحما لبيك واجعل من جماجمنا لعزك سلما"

لبيك حتي تبلغ الأرض الهتاف الي السما"

ج- <u>الوحدة العربية في الأغنية الوطنية</u>

وكانت حادثة الوحدة التي قامت بين مصر وسوريا١٩٥٨مصدرا للالهام للعديد من الأغنيات التي كتبت بالفصحي باعتبارها اللغة الرسمية في جميع الدول العربية،حتي يفهمها الجميع ويتغنون بها أيضا،فغني عبد الوهاب ابتهاجا بتحقيق حلم الوحدة بين الدولتين:

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

كان وهما وأمانيا وحلما.كان طيفاأوصحا النائم يوما ورأي النورفأغفي"

لاتسلني أين كنا أين أصبحنا وكيف لاتسلني ما الذي وحدنا قلبا وصفا"

ثم جاءت صحوة كالنار كالتيار كالقدر العنيد أيقظته بعثته خلقته من جديد"

لاتسلني أين كنا أين أصبحنا وكيف،لاتسلني ما الذي وحدنا قلبا وصفا!"!

وهنا يبدو الحلم الذي حولته الارادة العربية الي حقيقة موضوعا مشتركا

في معظم الأغنيات الوطنية، وقد جمعت الأغنية بين أكثرمن موضوع ،كالسجود لله شكرا علي النصر في ٥٦ وعلي تحقيق حلم الوحدة بين مصر وسوريا فغني عبد الوهاب:

ياالهي انتصرنا بقدرتك وفي جهادنا استعنا برحمتك"

واعتمدنا وضربنا بقوتك واتحدنا وسجدنا لنعمتك"

أمة واحدة تحت راية الأمان..واتحادها زادها مجد وضمان"

عنوانها اتحاد ضد المعتدين،وشعارها حياد مرفوع الجبين"

تحيا الدولة العربية وتحيا مصر سورية"

ياالهي..ياالهي ..الحمد لك والشكر لك"

للعروبة وبعناية الاله ولكرامة حقنا في الحياة"

وحدنا الجهود ومهدنا السبيل وشيدنا من الوجود كلمة مستحيل" "

صبحت دولة عربية لها كلمة ولها حرية...ياالهي الحمد لك"

وتتكرر معاني الانتماء للعروبة، كما تحرص الأغنية الوطنية علي تأكيد تاريخ الوحدة بين مصر وسوريا ماقبل الاعلان الرسمى لها فتستدعي الذاكرة الجمعية العربية واقعة استشهاد البطل السوري "جول جمال" في معارك الدفاع البحريةعن بورسعيد مع قائده المصري جلال دسوقي فتقول:

مصري سوري يد واحدة من زمان..اكتب الوحدة النهاردة يازمان"

سوريا ويا مصر بتحيي الشهيد ..جول جمال ضحي بروحه في بورسعيد"

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

لكن الأغنية المليئة بالشجن كانت تترك الفرصة للمرح والتفاؤل في أغنية صباح :

"من الموسكى لسوق الحميدية أنا عارفة السكة لوحدية"

وهي أغنية تربط بين أحياء وسط المدينة التاريخية "الموسكى" المصري و"الحميدية" السوري وما يربطهما من تاريخ العلاقات التجارية والاجتماعية

٣- ملامح الأغنية الوطنية في الستينيات

تعد فترة الستينيات أهم مراحل الأغنية الوطنية المصرية لأنها سجلت اكتمال تحقق المضمون الاجتماعي للثورة،عندما أكد ناصر"ان شعوبنا لاتصنع بالاستقلال علما ونشيدا وصوتا في عداد الصوات بالأمم المتحدة فحسب ، ولكنها تريد-الي جانب ذلك-أن يكون للاستقلال مضمون اجتماعي" فكان اكتمال بناء السد وطرح قضية عدالة التوزيع وتركيز الحياة السياسية علي قضايا التنمية الاجتماعية الاقتصادية من ضمن أسباب عديدة أخري لاكتساب الأغنية لسمات جديدة،جعلت منها "مجسا"حقيقيا للتحولات الاجتماعية السياسية التي شهدتها المرحلة،فكان الصعود الطبقي المرتقب للفئات الفقيرة من العمال والفلاحين،ومن يمثلهم من المثقفين دافعا لمبدعي الأغنية الوطنية ؛من الشعراء والملحنين والمطربين عند التعبير عن القضايا السياسية الجديدة،الي الانعطاف بقوة نحو استلهام مفردات الأغنية الوطنية من قلب الثـقافة الشعبية،التي كانت تكمن في الظل وتحرم من أن تأخذ سبيلها الي الظهور والانتشار من خلال القنوات الرسمية للدولة ،بصفتها ثـقـافة الطبقات المهمشة البعيدة عن عين الدولة وقلبها.

أ- <u>الدور الاجتماعي والسياسي لأغنية الستينيات</u>

فبالمقارنة السريعة نلاحظ أن الأغنية الوطنية في فترات تاريخية سابقة كانت تستلهم لغة الثقافة المسيطرة والتي كانت حين تتغني بالبسطاء فانها تفعل ذلك

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

من" أعلي"؛مثال ذلك :محلاها عيشة الفلاح.... ولم يعد المثقف المتعالي، وشاعر العربية الفصحى هو شرط الأغنية الوطنية بل أفسح الطريق للمثقف العضوى "الذى يستلهم عمق وحكمة البسطاء من هنا نتبين ماشهدته الأغنية من تحول واضح في دورها الاجتماعي ووظيفتها السياسية؛ففي كتابه مجتمع" اللادولة"يؤكد بيير كالاستر"أن الخطاب السياسي يجعل القائد أو الزعيم "سيد الكلمات"،لأن حيازة الكلام تمثل سلطة في ذاتها،ولذا يمكن القول بأن الأغنية الوطنية قد استطاعت أن تنقل سلطة السيادة علي الكلمات للناس/الشعب/البسطاء والواقع أن هذا الاتجاه قد مثل تيارا قويا في جميع مجالات" الميديا" آنذاك، فحفلت الدراماالتلفزيونية والاذاعية بروايات تتناول قضايا الصراع الطبقي، وتاريخ القهر الطبقي والاجتماعي،وذلك من وجهة نظر الطبقات المستغلة والمهمشة من فقراء الفلاحين والعمال،وكانت مقدمة كل مسلسل تحتوي أغنية تستعرض مواقف الظلم التي تتعرض لها هذه الطبقات،وبرغم الشجن الواضح في تلك "التترات" الا أنها كانت تحمل الأمل لهؤلاء الذين عانوا من الاستغلال الطبقي لأن الدولة أخذت علي عاتقها مهمة تحريرهم فيخاطب الأبنودي البطل المقهورقائلا:

" اكتم بكاك..جواك..ياللي السنين في وشها واخداك"

بكرة السنين ...تمشي وراك....واكتم بكاك

فكانت الأغنية تسهم في توعية المجتمع كله بضرورة تبني قضايا الطبقات الدنيا دعما لموضوعات الدراما. ومن ثم فقد تميزت أغانى الستينات فى أداء دورها الاجتماعى والسياسى. بكثافة درامية واضحة فبعد مرور عشر سنوات من الأحداث السياسية،صارت الثورة واضحة الملامح،فلم تعد مجرد "انقلاب" لقلب نظام الحكم،وانما صارت ثورة الشعب الذي أصبح يمارس دوره كفاعل اجتماعي وسياسي،فالذي حارب في بورسعيد كان الفدائي المصري،والذى قام

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ببناء السد هو المصري؛المهندس والعامل فكانت الأغنية الوطنية أكثر ثراءا بما صارت تحمله من تاريخ،وما تحتويه من ذاكرة،مثال ذلك أغنية: حكاية شعب،والمسئولية وصورة ،ويأأهلا بالمعارك وبستان الاشتراكية....الخ . وقد صارت الأغنية الوطنية" مسرحا" سياسيا موازيا للساحة السياسية الحقيقية وان أخذ ذلك شكلا فنيا ،فخطب عبد الناصر كانت طويلة تتناول تفاصيل كثيرة وكانت الجماهير تتفاعل معه بالهتاف والاستحسان،لكن الأغنية الوطنية تعمد الي اختزال المعاني الاجمالية للخطاب السياسي مع الحرص علي احياء معاني التأثير والقوة بلغة شعرية تضفي الجمال ومعادل موسيقي يوقظ الروح الجمعية ففي أغنية "حكاية شعب" يقوم عامل السد العالي أثناء القيام بالحفر مع زملاء العمل بالغناء الذي يعتاده من يمارسون الأعمال الجماعية الشاقة،لبعث روح النشاط والحيوية،وهو يذكرهم بالثمن الذي دفعه الشعب من دماء أبنائه لتحقيق هذا الحلم،وهو يبدا باعلان البهجة بانتصار الجماهير في معركة التحدى مع الاستعمار الذي بذل جهده لمنع بناء السد،عندما رفض البنك الدولي اقراض مصر المال اللازم للمشروع،فينشد الكورال:

قلنا حنبنى وأدى احنا بنينا السد العالي"

بالاستعمار بنيناه بايدينا السد العالي"

من أموالنا بايد عمالنا هي الكلمة وادي احنا بنينا"

ثم يقاطعهم الراوى/العامل/المثقف ليقوم بدور الذاكرة/للعقل الجمعى:

" الحكاية موش حكاية السد،حكاية الكفاح اللي ورا السد"

حكاية شعب للزحف المقدس قام وثار ...تسمعوا الحكاية "

ويبدا الراوي في استدعاء ملحمة دنشواى وعدوان ١٩٥٦، والزملاء يردون عليه وعندما يقول:.. جاب سلاحه وطياراته ودباباته واعتدي علشان نسلم " تنتعش ذاكرة الجماعة بالحدث العظيم فيستنكرون بلغة ملؤها التشفي والفخر

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

:هو ميـــــــن؟ لأ..ده بـــعده (مستحيل) هوه اللي تلقي وعده (أخذ جزاءه)

ليختم الراوي قائلا:

كنا نار أكلت جيوشهم..نار تقول هل من مزيد

وانتصرنا ولسه عارهم نكري في تراب بورسعيد

ولا ينسي الشاعر أن يذكر الفضل لمساندة الشعوب العربية والصديقة

"..والعروبة في كل دار وقفت معانا"

".والشعوب الحرة جت علي اللي عادانا....وانتصرنا...انتصرنا"

وتعد أغنية" صورة"تجسيدا فنيا لفكرة تحالف قوي الشعب العاملة التي كانت تمثل الرؤية الايديولوجية للقيادة السياسية ، وفيها يمارس الشاعر دور حامل" الكاميرا"الذي يتجه لاستعراض كل الأطياف والفئات الاجتماعية والمهنية والسياسية،ليقدرها ويحييها علي ما تبذله من من جهد لتحقيق التنمية،وهويحرك الكاميرا الشعرية فيبدا بالطفولة؛ أمل المستقبل(من أصغر طفلة بجدايل ..للفلاح

أبوخير وجمايل..وأساتذة وعلما ومعامل ودكاترة من الشعب العامل..ورجال سكر علي مكاتبها ،تخدم بالروح لما تعامل) فهو مجتمع الفاعلين سياسيا والنشطاء مهنيامع مراعاة أن صفة المواطنة تجمع بين العاملين بالمهن العليا والدنيا علي السواء.

لكن الكاميرا تتوقف طويلا عند" المدخنة" رمز التقدم الصناعي الذى عوقه المحتل ليصنع من بلادنا أسواقا ليضائعه. وبروح المرح الذى يبعثه التشفي في العدو المقهور والسخرية اللاذعة تخرج نار المدخنة لا لتدير المصانع فقط وانما لتشعل غيظ الأعداء: "مدخنة قايدة قلوب حسادنا تحتها صلب كأنه عنادنا" والجميل أن الذين يديرون العمل الكبيرهم أبناء مصر من الشباب من المهندسين والعمال ،الذين يحفظون للوطن كرامته عندما يناقسون الدول

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المتقدمة في البراعة:

" قدامه من أغلي ولادنا عامل ومهندس عرقان..."

ويبرزفي الصورة الجندي الذي يحمل مسؤلية الدفاع عن الوطن، ثم يتراجع المصورللخلف ليدخل الجميع /فئات الشعب الي" الكادر"، لكنهم اذ يصطفون لالتقاط الصورة يهتفون في صوت واحد باسم صانع هذه الصورة الرائعة "ناصر"الذي يتوسط الصورة، بينما ينبههم المصور/المثقف/المطرب الي ضرورة الاقتراب الفكري/المكاني من الزعيم :

قربوا من فكره... وأحلامه يللي ....عليكم كل كلامه لتكتمل الصورة بالديالوج بين الزعيم والقيادات الشعبية، فيطالبهم باتخاذ مواقعهم/مهامهم وهو يسألهم:قلتم ايه؟! لكنهم لاينتظرون السؤال،ويردون وهم يسلمون اليه الأفئدة والماضي والحاضر، لشدة الثقة في قيادته وهم يذكرونه بأنهم لم يبخلوا في الجهاد الأكبر ومن الطبيعي الايبخلوا بالكفاح(الجهاد الأصغر).

أما أغنية يا أهلا بالمعارك فيقوم فيها الشاعر/المطرب/الراوي باستحضار واحد من اللقاءات التاريخية شديدة الحميمية التي يتفاعل فيها الطرفان؛ الزعيم/والجماهير فيكمل كل منهما للآخر الموضوعات المطروحة؛فقرارات الزعيم تتطابق"وتستجيب لأماني الجماهير، والشاعر يبدأ الأغنية بالتحضير الجاد للاجتماع السياسي الهام":مفيش علي قده كراسي من كتر مافيه ملايين". والقائد يبدأ الخطاب باستدعاء اللحظات الصعبة /المجيدة من الأجندا" التاريخية":الله أكبر ويوم الأزهر في وجداني" والجماهير كانت تتذكر بدورها: نظرتهم فكرتني بايام ستة وخمسين.." وتسبق الموسيقي الممهدة بالصمت ، الذى يوقف ضجة الجماهير وصخبها الطبيعي ،عندما ينصت الجمع بترقب : عبد الناصر يقول ".وعود ماعنديش ما فيش الا النضال عندى وشقا ومعارك مريرة كتير يا اخواني.". فيرد الكورال/الشعب

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

سعيدا بصدق الزعيم وغيرمبالي بالصعاب القادمة :أطلب تلاقي تلاتين مليون فدائي في جميع الميادين!! وعندما يتساءل :علي فين جهادنا العظيم علي فين موديناً؟ ترد الجماهيربثقةوابتهاج: للأفراح ياناصروللرفاهية ياناصر!! فيفصل الزعيم" الخطة" قائلا: للأفراح والرفاهية حنمد طريق علي النيل...يوافقونه:آه اسمه في الاشتراكية التصنيع الثقيل.....ويوافقونه:آه ولكن الشروط لهذه الأفراح:بس نضاعف انتاجنا...يردون أضعاف وندبر مهما احتاجنا ...فيؤكدون ونحارب الاسراف أما في أغنية(المسئولية) فهي تبدأ بالتوجه الجاد للشاعر/الجماهير/المسئول في حوارتبداه الجماهير بالتهنئة للمسئول بما حازه من ثقة الشعب بتعيينه في اللجنة الأساسية للاتحاد الاشتراكى:آديك اهه خدت العضوية وصبحت في اللجنة الأساسية" أبو زيد زمانك وحصانك ..الكلمة والخدمة الوطنية ودي مسئولية ويؤكد المسئول وعيه بدوره الذي لن ينجح في آدائه الا بدعم الجماهير،فيلخص الهدف العميق البسيط":من كلمة حلوة للقمة حلوة لبيت وكسوة وناس عايشين" آدي القضـــــــــــية"

ب- <u>البناء الدرامي للأغنية الوطنية في الستينيات</u>

والواقع أن أغنية الستينيات تتمتع بتوفر بنية درامية ذات محاور أساسية تدور حولها أحداث وقضايا الأغنية الوطنية منها علي سبيل المثال:

ب-١- الوطن:يتحول الوطن في أغنية الستينيات الي جغرافيا لها ملامح واضحة فهو:خضرة ومية وشمس عفية وقبة سما زرقا مصفية..الخ.

ونسايم سلم وحرية ومعالم فن ومدنية، ومداين صاحية الفجربة ... وهو المصانع والمزارع ..والمداين والجناين.. وهو قناة السويس والفنارة..وهوبورسعيد ..وهوالسد العالي..وهو الأهرام..وهوالجبال والسهول..وهو الذهب الأسود.. والوطن هو الاكتفاءالذاتي الذي يجعل" من زراعتنا تقوم صناعتنا والخير يبقي كتير في ايدينا" وهوالصحرا التي

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ستخضر.." وهو النيل..والفجر والصباح ..وهو الحبيبة والأم..وهو المدخنة والمأذنة وهوالقرآن والانجيل والميثاق...الخ والوطن بملامحه الانسانية هو: مصر الشعب وليس مصر الخالدة .

ب-٢- الزعيم:

ترسم الأغنية الوطنية صورة الزعيم بوضوح عند الحديث عن القيادة السياسية،فلم تعد القيادة هي الضباط الأحراركما في بداية الثورة، واما صارت تناديه"بطل الثورة" وناصر" وحبيب الملايين" والأسمر في جبينه هلال"وهو بطل الأسطورة الذي تنتظره روح الجماعة الشعبية وتعرفه من قبل اللقاء ، فتقول الأغنية:

من قبل الثورة كنا عارفينك ..من عهد جدودنا كنا مواعدينك"

كان اسمك عايش في قلوبنا..وملامحك ساكنة في عيوننا

علشان كده لما تقابلنا ،شاورنا عليك يومها وقلنا

جيت في معادك بعد مطال واحنا جينالك من أجيال

أما عن أفعال الزعيم فهو الذي:

خلي اليأس حماس وأمل.. خلي الضعف كفاح وعمل" قال لليل الظلم ارجع، قال لنور الحق اطلع !!

وهو الذي أطلق: الصرخة القوية في الميدان في اسكندرية!! وهوصاحب :ضربة كانت من معلم خلي الاستعماريسلم. وهو في أغنية بالأحضان:زعيمك خلاكي زعيمة في طريق الخير والعمران" وهوالذي :هندسها جمال وحنبنيها وحنطلع فوق في السما بيها."

وهو: ريسنا ملاح ومعدينا عامل وفلاح من أهالينا ."

أما عن موقع الزعيم في الأغنية الوطنية فهو في" القلب" وحوله تلتف الجماهير، وتخاطبه بأبو خالد نوارة بلدي"، كما أن لحظة دخوله المشهد

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

السياسي للأغنية الوطنية،تكون مسبوقة بالزفة"المكونة من المزمار البلدى والزغاريد كما في اغنية "المسئولية"أو تكون لحظة ظهوره مدعاة للصمت والترقب والاهتمام البالغ بما سيقوله،تمهد لها الموسيقي التصويرية كما في أغنية ياأهلا بالمعارك" ويصل التوحد بالزعيم أقصاه في أغنية "ناصر ياحرية"التي تناديه:

ب" ناصر ياحرية..ياوطنية ..ياروح الأمة العربية" في شكل هتاف ينطلق من حناجر الأطفال والنساء والرجال والشباب،بحيث تتجسد حالة من الصدق الحارويلخص المطرب/الوطن في عبارات تلغرافية موجزة ذات أجراس مبتهجة:

الشعب يريدك يا حياته ..ياموصل موكبه لغاياته "

"وحياة المصحف وآياته اسمك في قلبنا أغنية"

وتبرر الأغنية كل هذا الحب للزعيم لأنه"

بناي السد العالي والكهربا في الريف في الريف بتلالي"ولأنه

"مخلص وعظيم ومثالي...تحميه القدرة الالهية"

والأغنية لاتنسي أن الوطن يمر بلحظات قاسية وتقسم بهذه الشدة " وحياة الشدة وقسوتها ..اسمك في قلوبنا أغنية .." وهنا لا يكون الحب العظيم للزعيم رهينا بالرخاء والرفاهية وانما هو مشاعرأصيلة لاتزيدها الشدة الا عمقا وقوة والقسم هنا يمثل أعظم علامات التأكيد الذي لاشك فيه. وقسوة الظروف .

ب-٣- <u>القيم والمبادئ والمعايير:</u>

تؤكد الأغنية الوطنية علي نسق من القيم والمعاييرالتي تمثل الأساس الأخلاقي للمجتمع الذي تسعي الثورة لتأسيسه ومنها:

قيمة العمل والانجاز:

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وتظهر قيمة العمل والانجازفي الأغنية الوطنية،وهذا يتسق مع لغة الخطاب السياسي الذي رفع شعارالعمل واجب والعمل شرف والعمل حياة "ففي أغنية صورة يستبعد المطرب/المثقف من دائرة الضوء" والأهمية" العاطلين بالوراثة "والكسالي والمهملين:

والصورة مافيهاش الخامل والهامل واجبه نعسان"

"مافيهاش الا الثوري الكامل المصري العربي الانسان"

كما تؤكد أم كلثوم في أغنية "دوس علي الصعب"

"ادي لعملك جهد زيادة ،خللي لمصر عملنا عبادة.."

فكر..ابحث..ازرع ..صنع..كل مجاهد حيقول أمله.."

"ربنا موش حيضيع ابدا أجر مكافح يتقن عمله"ويكرر المعني

نفسه "ياايدينا العاملة..ازرعي اخلاص واحصدي والرب يعين"

والاهتمام ينصب علي"...عامل ومهندس عرفان.."وكذلك علي

"ناس تحت حر الجبال والقلب كله حماس "

وأساتذة وعلما ومعامل ودكاترة من الشعب العامل .."

"ورجال سكر علي مكاتبها تخدم بالروح لما تعامل.."

أما قيمة الجماعية: فتظهر في أغنيات منها أغنية :

ياما زقزق القمري علي ورق الليمون

علشان بلدنا ياوله وجمال بلدنا ياوله كله يهون"

ففي هذه الأغنية يرفض الشاعر/المصري الفردية أو الانتماء الي قرية معينة فالوطن هو الانتماء الأساسي فيقول :

" ماتقولشي أنا من المنزلة ولا سند يون ولا من الباجور ولا من تلا"

شيلني شيل يا وله ..علشان بلدنا وجمال بلدنا كله يهون ..!"

ب-٤- الحلم :

يعد الحلم أهم محاور أغنية الستينيات،فهو الغد المأمول،وهو الهدف الذي تتوجه الجماهير لتحقيقه،وتحتمل المشاق كي تحققه،كما أنه أساس شرعية القيادة

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

السياسية،والأغنية تطرح "الحلم"في أبسط صورة :

أنا وانت ..وانت وهو وهي علينا نعمل الاشتراكية"

من كلمة حلوة للقمة حلوة وبيت وكسوة وناس عايشين آدي القضية"

والحلم يتسع ليشمل تحقيق النهضة واكتمال مظاهر الحداثة والتقدم

فيصبح تحقيق" صناعة كبري ..تماثيل رخام علي الترعة وأوبرا

"في كل قرية عربية..."

والحلم ليس أنانيا أومقتصرا علي حدود مصرالجغرافية، وشعبها بل هوحلم الوطن العربي الممتد من الخليج العربي الي المحيط الأطلسي:

"الشعب العربي رمي قيوده وخرج من الطوق..."

"طالع ..طالع للقمة ..وبيزرع فيها الراية.."

وفي الحلم تتوحد الأمة العربية ،وتندمج الي الحد الذي تصبح فيه:

"رايتنا في حضن النسمة مرفرفة بستاشرنجمة علي مدينة عربية

"معرفش من أي الأقطار ...."

والحلم يتحقق بمجرد طرفة عين وانتباهتها:

"اقفل عينك وافتحها تلاقي الشوك بقي فـــــــــل

"وزهور ليمون صابحة في يافـــا ...تضحك وتطل"تقول

"افتح صندوق العيد وادي الحلوة مرايا..."وهكذا سوف تتحرر فلسطين لأنه ليس من المستحيل بعد أن أصبحت :

"سكتنا خلاص في ايدنا ..وخلاص متشمرين" كما أننا انجزنا مستحيلات سابقة ،منها التحرر من الاستعمار،وتأميم قناة السويس ،ورد العدوان الثلاثي واقامة مشروع السد العالي الذي قمنا لانجازه بازالة الجبال:

"جبل الجرانيت انشق ..انشال ..وف بحر النيل انزق ..أمال"

"مافي حاجة تقولنا ..لأ!!..ايشـــحال يوم تحريرنا فلسطين"

والحلم يتجاوز الممكن لأنه:

مفيش محال والعزم معانا والعلم بينور دنيانـــــــــا"

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

"والفكر بيجسم أحلامنا قدامنا شايفينها وشايفانا"

والحلم بتحقيق التنمية يستلزم بذل الجهد في اطار النظام الاشتراكي الذي سيقفز بمصر الي مرحلة التصنيع:

"للأفراح والرفاهية حنـــمد طريق علي النيل .."

"اسمه في الاشتراكية التصنيع التقيل..."

وتصل درجة الثقة بالقدرة الشعبية علي تحقيق الأحلام الي الحد الذي تجعل المطرب/المواطن يخاطب الحلم قائلا:

"يا حلم ....ياحلم يا أبو الليل يامتزوق .."

ليلك سهرناه ونورناه بالمبدأ ..فيه ناس تقول في الصباح"

"حلمنا والله خير واحنا الصباح بيجي يلاقي الحلم متحقق"

ولايمكن أن نتحدث عن الحلم في الأغنية الوطنية دون أن نشير الي دور الشباب في تحقيق الحلم ، فالأغنية تناديه :

وانت ياشبابنا اتقدم ..جه دورك في التاريخ"

بايديك لازم تتقدم مصر في عصر الصواريخ.."

وشبابنا نهض ياحبايب..قال جه دوري مانيش هايب.."

"يسلم لي الشعر الشايب والناس المخلصين.."

وهنا تتفهم الأغنية قيمة الأجيال القادمة وتحرص علي توعية الشباب بلغة مباشرة بواجبه،ولديها القناعة التامة بأن شباب هذا الوطن يتفهم دوره التاريخي ولايخشي مسئولياته،ولا ينسى أنه يمارس هذا الدور دون الوقوع في صدام مع الكبار أو ما يسمي بصراع الأجيال " يسلم لي الشعر الشايب .." أما في أغنية "الجيل الصاعد"فالشباب هوبؤرة الاهتمام وهوالذى

"بيني ويجاهد..عاش بكفاحه الخالد..عاش جيل ثورتنا عاش"

ويبرز هنا دور الطالب والعامل والجندي من الشباب الذي حمل علي عاتقه مهام الثورة وانجازاتها.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ج- الدلالات الاجتماعية والسياسية لألحان أغاني تلك الفترة:

فالملاحظ أن القدرة الفذة للشعراء الذين وضعوا كلمات تلك الأغاني- وعلي قمتهم الشاعر صلاح جاهين- قد تضافرت مع عبقريات موسيقية لملحنين وموزعين،استطاعوا تحقيق حالة من التوحد والانسجام التي أسفرت عن تلك الحالة من الابداع التي يندر تكرارها.

ج-١- تجسيد المعاني:

يمكن أن نلاحظ أن المعادل الموسيقي للملاحم الشعرية الوطنية استطاع باللحن المعبر أن يجسد المعني ويضاعف تأثيره ،فمن الفرح الغامربايقاعات شعبية مرحة للتعبيرعن البهجة والتفاؤل الي الضربات القوية التي تجسد دقات كعوب الملايين،الي هدير المدافع ومن الايقاعات السريعة النتظمة-التي تجسد تدافع الجماهير واحتشادها حول الزعيم-الي الشجن والحزن النبيل الذي ينغرس في قلب الأمة علي شهدائها من الشباب.

يقول ماوتسي تونج:ان الفن ينبغي أن يكون فنا قبل أن يكون ثوريا"!

ولذا فان المعادلة الفنية بين" النافع"و"الجميل" تتحقق علي نحو بالغ النجاح في أغنيات كثيرة منها مثلا:اغنية" ساعة الجد "التي اعتمدت بشكل أساسي علي ضربات السندان والمطارق الحديدية لتوازي النداءات الجماعية لعمال السد العالي وهم يهتفون :

أحنا وراه ملايين تتعد يحموا النيل ويقيموا السد ساعة الجد!!

ومن يستمع الي المزمار الشعبي والزغاريد التي تسبق دخول الزعيم الاحتفال يعيش حالة فرح حقيقية عندما يزفه المطرب هاتفا :

ريسنا ملاح ومعدينا عامل وفلاح من أهالينا ومنا فينا....

"الموج والمركب والصحبة والريس والزينة..."

أما اللحظة التي تهتف فيها أم كلثوم :"الشعب بيزحف زي النور"

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فان الموسيقي تلعب الدور الأساسي وهي تجسد الزحف الشعبي المتصاعد الذي يدفع بالرعب في أوصال العدو.

وعندما يستدعي الشاعر من التراث الشعبي عادة "التجريس " – التي مارسها المصريون ضد المجرمين واللصوص في زمن المماليك– فيقول للفاسد من المسئولين:

وان خدت المركز جاه ولعبت اللعب اياه"

ولاهمك غير مصلحتك وظلمت في خلق الله"

"حنقولك ياعديم الاشتراكية ..ياخاين المسئولية!!"

ونطبل لك ..كـــــــــــده ونزمرلك كـــــــــده!!

هنا يستدعي الملحن الطبول الساخرة والمزمار ليضفي طابع السخرية وخفة الدم المعروفة عن المصريين.

ج–٢– <u>التوزيع الموسيقي</u>

لعب التوزيع الموسيقي أهم أدواره في تاريخ الأغنية في فترة الستينيات حيث نجح الموسيقار"علي اسماعيل"وأندريه رايدر في توظيف الآلات الموسيقية المختلفة لتقدم الألحان بلغة شديدة الحساسية،فكانت الطبول تضبط الايقاع الموسيقي من جهة وتشيع روح الحماس والانتباه والانتظام،وهي الوظيفة التاريخية للطبول بأنواعها– لدي معظم الثقافات الانسانية، فهي اداة استدعاء الجند، وهي لغة التواصل في المجتمعات البدائية والمتقدمة علي السواء وقد أعطي التوزيع الموسيقي خلفيات موسيقية حية" للدعاء" في أغنية" بالاحضان"باستخدام الآذان وجرس الكنيسة عندما ردد المطرب الدعاء قائلا:اللهم انصر بلدي وأيدها...آمين

سدد خطوتها وخد ايدها ....آمين

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

فجر ينابيع الخير تحت أقدامنا ...آمين"

اللهم انظر لعملنا..بارك في كفاحنا ونضالنا....آمين"

ج-٣- أما المطرب:

فهو مركز كل الابداعات السابقة الذكر، وفصل الخطاب في قيمة الأغنية وتألقها وان تباينت المواقف من مطرب لآخر؛ فقد مثلت أم كلثوم شخصية مصرمنذ نجحت في التعبير في قصيدة مصر تتحدث عن نفسها"فكان صوتها القوي النقي الشديد العذوبة يحمل مجدا وفخاراوعظمةجعلها مسئولة عن تمثل روح مصرالأم والأمة، وقد بدا هذا بوضوح في أغنية" قم للشعب" التي سأعرض لها عند الحديث عن بكائيات النكسة.

أما عبد الوهاب فقد جمع بين الملحن والمطرب فكانت حساسيته الشديدة للكلمات والحدث السياسي وراء أغنيات وطنية متميزة عبرت- الي جانب نجاح العمل الفني عن الوحدة العربية في أرفع معانيها في أغنية "الوطن الأكبر"حيث جمعت ما بين مطربي مصر ولبنان والجزائر،كما أنه تغني "بالجيل الصاعد" وهي تنتمي الي نوع الأغنية الجماعية،فكانت بداية نوع فني جديد يعكس روح الجماعة ويعبر عن" الكل في واحد"أما عبد الحليم حافظ الذي لقب بمطرب الثورة فقد استطاع بصوته الشديد الحساسية،أن يلعب دورا سياسيا / فنيا/اجتماعيا وثقافيا فاعلا من خلال الأدوار المتعددة التي مارسها في أغنياته الوطنية؛فقد لعب دور المثقف الثوري الذي ينشرالوعي السياسي من خلال كلمات جاهين ؛كما لعب دورالمواطن البسيط المبتهج بالتنمية وتحيزالقيادة السياسية للطبقات الدنيا، وجسد دور الزعيم /القائد في تفاعله مع الجماهيروفي حواراته السياسية وفي جميع الأحوال مارس دور" الراوي" في الحكايات الشعبية وملاحم التراث.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ج-٤- أما" الكورال"وهو تلك المجاميع المكونة من أصوات رجالية ونسائية وأطفال فقد أدى دورالشعب علي تنوع فئاته في" التابلوهات" الغنائية التي قد مها المطربون في معظم الأغنيات التي كانت تخاطب المستمع للعمل الفني، أثناء ممارستها لدورها السياسي ،فبقدر ما حملت الأغنية من رسائل القيادة الي الجماهيربقدرما حملت الرسائل من الجماهيرالي الي الزعيم ولذلك لاتكاد أي أغنية وطنية أن تخلومن صوت" الشعب"
الذي كان حاضرا بقوة -بفئاته المتنوعة-من خلال الكورال الذي كان جزءا عضويا وحيويا في الأغنية الوطنية.

ج-٥- الأغنية الوطنية ثـقـافية/اجتماعية والواقع أن الأغنية الوطنية لم تقتصرعلي الموضوع السياسي وانما اتجهت للتعبيرعن نمط من الأغاني الشعبية ذات الطابع الفولكلوري والتي استلهمت ثقافة البسطاء من الفلاحين وأهل الأحياء الشعبية ، كما صنعت مادتها من أفراح وشجون من لم تحفل بهم الميديا الرسمية من قبل، فسجلت الأغنية أفراح جني المحاصيل الزراعية كالعنب والبرتقال فغنت شادية للعنب بكلمات الأبنودى:

" والله ان ما اسمريت ياعنب بلدنا لاجري واندهلك عيال بلدنا "

" اسمر وطيب ياعنب يابو أمر غريب ياعنب والله.."

كما غنت لموسم جني البرتقال:

"طاب واستوي علي الشجريابرتقالنا ياوله طاب من الهوي"

" عم ياجناينى حلفتك بالأمانة تديني برتقانة "

"عم ياجناينى يابو لاسة غزلها الشوق .."

اديني برتقالة تيجي تجيبها من فوق .."

ولم تعد بطلة أغنية الحب أرستقراطية ناعمة ،وانما أصبحت فلاحة أو ابنة صياد، وصارالمحب عامل أو فلاح أوصياد كادح يزهو بكفاحه وكده وعبر

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المطرب الشعبي محمد رشدي بكلمات الأبنودي عن أمنيات شباب الريف في الحب والأسرة في أغنية عدوية:

"أم الخدود العنابي ،ام العيون السنجابي يا مركبي وبحري وداري"

وحجاب حاشيله في غيابي ..والله صورتك دي تلفع تزين الجرانين"

"واوعوا تحلو المراكب والله ياناس ماراكب ولاحاطط رجلي في

المية الا ومعايا عدوية.."

أما البطلة "وهيبة" فتحظي بحب واعجاب شباب البلدة الذين يتنافسون علي الفوز بها ،ولكن "نجاة"تبدو فتاة ريفية تزور المدينة ويصحبها جارها المثقف الذى يطوف بها العاصمة لتتعرف علي ملامح النهضة الجديدة لمصر الحديثة. وقد مالت الأغنية الشعبية في تلك الفترة الي الفخر بقصص كفاح المحبين ونضالهم ضد التقاليد البالية التي تحول دون ارتباط المحبين،فهم يثورون بكل الثقة في الفوز النهائي؛ففي أغنية "آه ياليل ياقمر" يحكي البطل الفقير قصته مع رجعية والد الحبيبة الذي يرفضه في البداية لكنه لايلبث أن يستسلم لقوة الحب واخلاص الحبيبين :

" كان فيه ولد مالوش بلد غير عين حبيبته المخلصة "

"فلاح وغاوي يقول غناوي ويعشق الليل والعصا.."

"قام الولد لم البلد وراح لأبوها في المسا .."

" أبوها قال له هات قال الولد منين....؟

ماالملكشي غير حكايات مزروعة في القلبين"

".أبوها كان له قلب أقسى من الحجر.."

"آه ياليل ياقمر والمانجة طابت علي الشجر"

"قام الولد داب في العمل سابه من الخيل والعصا "

"أمله برق من العرق بدع العرق عقد وحلق والعب من تاني انتصر"

والأغنية هنا لاتكتفي بالنهاية السعيدة وانما تهتم بترسيخ قيمة العمل و الاعلاء من قيم الكفاح والجدية كسبل أساسية لتحقيق الآمال العظيمة أما فؤاد

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

حداد فتغني له المجموعة في نفس الاتجاه :

" في كل حي ولد عترة وصبية حنان ..."

" وكلنا جيرة وعشرة وأهل وخلان.."

وتتبع الأغنية نمو مشاعر الحبيبين الصغيرين في صمت وحياء الي أن يكبرا ويتزوجا ويذجبا أطفالا:

"..زمانه ماشي ..الخطوة بضم..زمانها كبرت وبقت أم.."

والأغنية هنا تبارك قصص الحب التي تنشأ في كنف الأهل والجيران وتلفها العفة والبراءة ، لتنتهي بالزواج في ظل دفء وحميمية ومساندة وقوة علاقات الجيرة والشاعر هنا لا يتحدث عن نفسه ولاعن مشاعر أنانية تخص ذاته الفردية أو معاناة المحبين التي تعالجها الأغنية العاطفية التقليدية ،وانما هو يراقب برضا وسرور نمو الحب في الحي الشعبي ويعيش حالة الطمأنينة بالسلام والأمان اللذان يعمان الحارة المصرية.

٤- <u>بكائيات النكسة وفرح العبور</u>

وكان الطابع اللاهث للأغنية الوطنية في حرب ١٩٦٧ (الأيام الستة) قد أصبح يميزتلك المقاطع السريعة التي حاول الشعراء والملحنين أن يختصروا من خلالها رسائل تلغرافية للجنود علي الجبهة فكانت أغنية اضرب..اضرب لاجل الصغار اضرب..لاجل الكبار ..لاجل النهار" لاجل البلاد..لاجل العباد لاجل الولاد.. لاجل البنات والأمهات لاجل" النبات..لاجل الربيع ..لاجل الجميع ..لاجل الورود..لاجل الوفود..." لاجل السلام والابتسام..لاجل الحياة ....ولاجل صناع الحياة...!!!"

وهي أغنية تشبه القذيفة الشعرية، يصحبها ايقاع سريع كأنه الأنفاس المتلاحقة أو ضربات القلب،وفيها يلخص المطرب/الوطن جميع القيم الانسانية النبيلة التي ستتعرض للخطر اذا ما نجح العدو في عدوانه. كما

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

تحظي أغنية "بالدم" بنفس الايقاع السريع المتلاحق لضربات طبول راعدة تحاكي ضربات المدفعية الثقيلة وفيها يصرخ الجندي المصري:

"..بالدم..بالدم ..بالدم حناخد تارنا ،بالدم ..نعود لديارنا ..."

"..بالدم الاسرائيلي ...بالدم الأمريكاني ..بالدم الانجليزي .."

".اللي بيسرق مكاني"

"..يامدفعي المدوي ...دوي في الأرض وضوي...بالدم"

وكان علي الأغنية الوطنية أن تستدعي وحدة الجهود العربية لتتكاتف مع مصر باستثارة الغضب العربي في أغنية:

"..يابركان الغضب ..يا موجد العرب..انزل عليهم بالغضب"

كما تتجه الأغنية لشد أزر الزعيم في المحنة:

"...ولابيهمك يا ريس من الامريكان يا ريس حواليك أشجع رجال"

ولا تنسي الأغنية أن تستخدم عادة عربية قديمة في اثارة حماس المحاربين بتذكيرهم بأغلي ما لديهم حتي يحاربوا بضراوة عندما كانت النساء تودع الزوج والأب محرضة له ومحذرة الا يعود الا منتصرا :

".. ابنك يقولك يابطل هاتلي نهار..ابنك يقولك يابطل هات الانتصار"

"ابنك يقول أنا حواليا الميت مليون العربية ومافيش مكان للأمريكان"

بين الديار..!!

أ- بكائيات النكسة:

وباعلان النكسة تكتسب الأغنية الوطنية طابعا حزينا،مفعم بالشجن النبيل،الذي يصونه الكبرياء من الانغماس في اجترار الهزيمة، فتأخذ الأغنية موقفا ايجابيا بناءا عندما تتخذ من الجراح حافزا نحو تحرير الأرض واستعادة الحلم وقد بدأت مرحلة بكائيات النكسة بذلك النداء الذي كتبه الشاعر صالح جودت وأعربت به أم كلثوم عن أحزان الأمة التي فجعت بالهزيمة وباعلان الزعيم قراره بالتنحي عن الحكم، فجاء نداؤها للزعيم بصوت مفعم

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بخليط من الأسي والكبرياء بالعودة الي موقعه باسم الشعب الذي رفض الهزيمة ورفض تنحي الزعيم :

قم واسمعها من أعماقي فأنا الشعب

ابق فأنت السد الواقي لمني الشعب

قم انا جففنا الدمع وتبسمنا..قم انا أرهفنا السمع وتعلمنا

قم للشعب .. وبدد يأسه... واذكر غده ..واطرح أمسه

قم واجمعنا بعد النكسة ....وارفع هامة هذا الشعب

والأغنية كما نلاحظ تحمل رسالة الشعب للزعيم وتؤكد بداية جديدة للنضال مليئة بالأمل والثقة في المستقبل ويمكن أن نصنفها في أغاني الملاحم التي تستجمع الطاقة الشعبية للمعركة القادمة. وفي فترة "الاستنزاف"قامت الأغنية الوطنية بأدوار متعددة منها:

أ-١- التركيز علي رفض الواقع المرير لاحتلال سيناء،وأن الغد سيأتي بالنصروبالحلم ففي أغنية "موال النهار" يتساءل المثقف/ الوطن ياهلتري الليل الحزين أبو النجوم الدبلانين أبو الغناوي المجروحين يقدر ينسيها الصباح أبو شمس بترش الحنين ...؟!!

ويصرخ رافضا واثقا :

" أبدا ...أبدا ..بلدنا للنهار بتحب موال النهار.."

ومصر تتحرك في اتجاه النهار/النصر/الغد في حركة الجموع التي لاتقف ساكنة وانما تنطلق في حركتها المصرة الواثقة "واتجمعت كل الأيادي من كل بيت طلعت تنادي .." علي الطريق وتقول بلادي ..بلادي..أنا نار تحرق أعاديكي" أستشهد فدي أراضيكي يا بلادي أنا دمي لنيلي وليكي ...!!"

أ-٢- استرجاع الموقف بهدف التذكر والاحتشاد وتجديد العهد بالرد واسترجاع الفجر/الصباح/الأمل وان كان الحديث لم يعد له مكان

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وصار الحسم للسلاح :

سكت الكلام والبندقية اتكلمت والنار وطلقات البارود شدت

علي ايدين الجنود واتبسمت ...!!

أ-٣- ولا تنسي الأغنية الوطنية أن فلسطين هي القضية الأساسية فتغني أم كلثوم قصيدة نزار قباني

" أصبح عندي الآن بندقية"

"قولوا لمن يسأل عن قضيتي بارودتي صارت هي القضية.."

والقصيدة تؤكد أن الحل للمشكلة الفلسطينية :

"طريق واحد يمر من فوهة بندقية.."

أ-٤- وقد أصرت الأغنية الوطنية علي تسجيل جرائم العدوفي ضرب المدنيين فغنت شادية من كلمات صلاح جاهين تدين الاعتداء علي مدرسة بحر البقر:

"الدرس انتهي لما الكراريس بالدم اللي علي ورقهم سال

في قصر الأمم المتحدة في مسابقة لرسوم الأطفال .."

وهي تستنهض ضمير العالم الحرليثأر:

".لطفل فقير مولود في المر..انما كان حلو ضحوك الفم"

وتتهم الأغنية الأمم المتحدة الساكتة علي الظلم :

"..دنيا مليانة بالأشباح وساكتة علي فعل الأباليس .."

وتسجل الأغنية الوطنية حادث الاعتداء علي مصانع أبي زعبل بصورة عميقة التأثير،حيث تتجسد أرواح العمال الشهداء في أصوات المجموعة التي تتنبأ بالمستقبل الذي سيتسم بالعدالة وسيرد الحق لأصحابه :

احنا العمال اللي اتقتلوا قدام المصنع في أبو زعبل .."

بنغني للدنيا ونتلو عناوين جرائم المستقبل .."

"ادانة مستر نيكسون بقتل الأوسطي ياسين"

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ب- فرح العبور:

وتتقمص الأغنية الوطنية حركة الجنودالذين زحفوا بسرية وهدوء للانقضاض المباغت علي العدووالعودة بالنصر:

".رايحين في ايدنا سلاح راجعين رافعين رايات النصر"

" شرفك يابلدي وعزة كرامتك ياغالية دا حقك أمانة في رقبتي"

وتنبه الأغنية الجندي/المحارب :

"..خلي السلاح صاحي ..لو نامت الدنيا صحيت مع سلاحي"

كما تناشد الأغنية مصر/الصبية أن تدعو لأبنائها الجنود وتباركهم:

".لفي البلاد ياصبية لفي البلاد..لفي البلاد يا صبية بلد بلد.."

" باركي الولاد باركي الولاد ياصبية ولد..ولد ..!!"

كما تحرص الأغنية أن تسجل دعوات البسطاء للجنود من خلال الغناء لهم :

"..وأنا علي الربابة باغني ماملكشي غير كلمة أمل للجنود

أمل بالنصر..ليكي يامصر ..يامصر.."

وعندما يتأكد نجاح العبور تسجل الأغنية فرحة استعادة القناة وصحراء سيناء،وبثقة يردد المطرب :

"قالها الزعيم من غير ما يحلف ..عمر الزعيم ما يقول ويخلف"

"لابد حتعود القناة ..وتعود لها تاني الحياة ."

" جات الشعوب جات في الهنا تشارك بلادي"

كما يتوجه الوطن بالتحية للأرض العائدة الي أصحابها :

"وصباح الخير ياسيناء ..رسيتي في مراسينا "

" تعالي ضمينا تاني ..ضمينا ..وبوسينا ياسينا."

"مين اللي قال كنتي بعيد وانتي اللي ساكنة في سواد الننى"

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الخاتمة:

هذه دراسة محدودة للأغنية الوطنية وهي محاولة لتطوير منهج للتحليل لذلك التراث الغني،والاقتراب من عمق التجربة التي عاشها المجتمع المصري،في مرحلة من أكثر الفترات ازدهارا وحيوية، ولاشك أن الأمر يستحق المزيد من البحث والجهد واعمال المناهج السسيولوجية ،لتتطور الي كتاب يحتوي المزيد من النصوص الجديرة بالقراءة والتحليل ،وهي خطوة أتمني أن تمكننا نحن الباحثين السسيولوجيين من اجتياز باب جديد للبحث ، يقربنا أكثرمن فهم حقيقي لقيمة الوطن وما يمتلكه من قدرات ابداعية وثقافية وما ينتجه من تراث جدير باهتمام باحثيه المنتمين باخلاص وفخرلأرضه وفكره.

ومن الجديربالذكرأن أسجل بعض الصعوبة التي تواجه مثل هذه البحوث، فهي تستلزم من الباحث السسيولوجي درجة من المعرفة بأساسيات فنية ولغوية مع الميل للتذوق الأدبي .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المراجع العربية :

١-اسماعيل صبري عبدالله:مستقبل مصر ؛مجلة الطليعة أكتوبر ١٩٨٤ ص ص١١-١٥

٢-الزواوي بغورة :مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو ؛المجلس الأعلي للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠ص ص١٣١.

٣- السيد ياسين:التحليل الاجتماعي للأدب؛مدبولي.القاهرة ١٩٩٢ص ص٢١-٣٥.

٤-بيار كلاستر:مجتمع اللأدولة الطبعة الثانية المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع .بيروت ١٩٨٢ ص ص١٢٤-١٢٩.

٥- حسنة عبد السميع :سيميوطيقا اللغة وتحليل الخطاب ،الطبعة الأولي،عين للدراسات والبحوث .القاهرة ٢٠٠١. ص ص١٢-٢٢.

٦- سوسن الدويك :محرمات ثقافية .الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الأولي، ٢٠٠٥ .ص ص٦٠٢-٧٢٨.

٧- فؤاد مرسي:عبد الناصروالنظرية الثورية،الطليعة،السنة السابعة سيتمبر ١٩٧١ ، العدد٩ ص ص١١-١٥

٨- محمد قاسم :سيكلوجية الذاكرة ،عالم المعرفة العدد٢٩٠١ فبراير ٢٠٠٣ ص ٢٣

٩-محمود أمين العالم :انجاز الثورة الوطنية الديمقراطية ، الطليعة ، أكتوبر ١٩٨٤ ص ص٢٣-٢٧.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مواقع الانترنت :

www.nasser.org

http://www.dvd4arab.com/showthread.php?t=583088

http://www.6rb.com

http://www.sama3y.net/forum/showthread.php?t=10693

http://www.sohbanet.com/vb/archive/index.php/t-42044.html

http://www.6arab.com/

http://www.masrwy.net/vb/showthread.php?p=228894

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com